# الذبـاب الأزرق

## نعمة اللّه رياض

إتصل به زوج أمه (سلطان)، وطلب منه الحضور ليقيم معه لأنه يعاني من الوحدة والأمراض.

الآن، يطلب مساعدته، بعد أن أصبح عجوزًا طاعنًا في السن! وبعد أن أذاق أسرته العذاب، تذكر طفولته البائسة عندما توفي أباه تاركًا أمه وأخته الكبرى، كان عمره وقتها خمس سنوات وكانت أخته تكبره بثلاثة.

تزوجت أمه من المعلم سلطان صاحب القهوة المجاورة لمنزلهم، بعد الزواج، بدأ سلطان يعامله هو وأسرته بقسوة شديدة.

لم يحس بالرعب والهلع في حياته إلا عندما كان يقترب منه سلطان وفي يده الحبل والعصا ليعاقبه على أقل هفوة -أو ما قد يعتبره هفوة - كان الحبل ليقيّده على عامود الفراش، والعصا ليذيقه بها ضربًا مبرحًا وهو يزمجر جاحظ العينين، ولا تستطيع أمه أو أخته الإقتراب منه لباقي اليوم ليأكل أو حتى يرتشف جرعة ماء!

ولم تسلم أمه من قسوة سلطان ومعاملته الجائرة، وكانت بلا حول ولا قوة؛ فقد كانت بلا مورد رزق تعيش منه هي وأولادها.

عبس وجهه عندما تذكر زوج أمه وهو يقترب من أخته، في غياب أمه عن المنزل، كان يقبلها بنهم ويتحسس جسدها بيديه، كان صغيرًا ولم يدرك معنى تلك المشاهد، الآن وبعد أن كبر، عرف معنى ما كان يجري أمامه، أو بعيدًا عنه، شعر بغليان الدم في عروقه وأصر علي أسنانه غيظًا.

مرت الأيام بقسوتها ومرارتها، وماتت أمه بحسرتها، وتزوجت أخته من عامل بقهوة سلطان، تشاجر مع زوج أمه عدة مرات حتى طرده من المنزل، فاستأجر غرفة بعيدًا عن طغيان سلطان.

نعم، سيذهب إليه يساعده، يخلصه من الوحدة والأمراض، يريحه منها جميعًا، لكن بعد أن يدفع فاتورة ما اقترفه في حقه وحق أمه وأخته، سيعاني من جرعة، بل جرعات من العذاب ما لا يتحمله عجوزًا مثله، لا يهم إن كان وقت الإنتقام قد جاء متأخرًا، فقد انتظر تلك اللحظة سنين عديدة ليشفي غليله.

دخل شقة سلطان، التي كانت شقته! ، ما إن رآه حتى بادره بلكمة في وجهه أسقطته على الأرض فاقدٍ الوعي والدماء تسيل من أنفه. سحبه لغرفة النوم، قيده واقفًا على عامود الفراش، الذي طالما قُيِّد هو عليه، نزع عنه ملابسه، صب علي وجهه كوب ماء ساخن ليفيق، صرخ سلطان متألمًا، يصرخ كما يشاء، فلن يسمعه

أحد! بسكين حاد شق جروح غائرة في لحمه، قطع أذنيه وشفتيه التي قبل بها أخته، وبالسكين أسال الدماء من ظهره وفخذه، مات العجوز ببطء بعدما غرس السكين في عمق أحشائه.

سحب الجثة المغطاة بالدماء، لحمام الشقة ووضعها في حوض الإستحمام، خرج واشترى أوعية من حامض كاوي مركز وصبها علي الجثة كانت كافية لتغطيتها، تآكل الجلد واللحم مُصدرًا فقاعات تنفجر على التوالي و تبعث رائحة منفرة وكريهة، لكنه بقى رغم ذلك يتابع تآكل الجثة وتحولها إلى مسخ بشع ثم إلى هيكل عظمي، صرف الحامض من حوض الإستحمام ورفع الهيكل العظمي كاملًا ونظيفًا، بطلاء لامع أصبح جاهزًا للبيع لطلبة كلية الطب!

هكذا اختفى سلطان من الوجود ولن يستطع حتى الذباب الأزرق أن يعرف له طريقًا.

بضعة أيام مرت، شعر بعدها بالضيق والتوتر وهو يقيم مع سلطان، حتى وهو هيكل عظمي! أحس بأن شيئًا ما يتعقبه وهو يخطو داخل الشقة وأصوات خافتة تتردد في أذنيه، يزداد توتره عندما تمدد على الفراش في الليل، يخاف من الظلام، وأضاء المصباح الخافت المعلق بجانبه، لكنه شعر بتيار هواء بارد يدخل حجرة النوم رغم أنه أغلق الباب والنوافذ، رأى خيالات تتراقص على حوائط الغرفة، لم يستطع التحمل أكثر.

إرتدى ملابسه بسرعة وفتح باب الشقة ليخرج، فوجئ بالباب يغلق بشدة خلفه، سار في الشارع المظلم متجهًا إلى غرفته، و مع إضطرابه، كاد يتعثر على السلم وهو يصعد لغرفته، أحس بتيار الهواء البارد يدخل في أثره، أخذ جسمه يرتعش بشدة، ارتمى على الفراش وهو ينظر إلي فضاء الغرفة وجسده ينتفض وشفتاه ترتعش، أحس بسقف الغرفة يهبط ببطء، مد يده إلى مفتاح الإضاءة وأطفأ نور الغرفة حتى لا يرى السقف، لكنه أحس به يستمر في الهبوط! خارت قواه وتجمد في مكانه، ولم يستطع الحركة أو الهرب، بالكاد فتح عينيه في الظلام، كان وجه سلطان يتراءى له علي السقف الذي يقترب منه ببطء، لمعت عينا سلطان وهي تنظر إليه وهي جاحظة، ارتجف جسمه بشدة وهو يشاهد رأس سلطان تتحول إلي جمجمة، وما تبقى من أسنانه منفرجة وبارزة لا يعرف إن كانت تضحك أو تستعد لالتهامه، اقترب سقف الغرفة منه حتى كاد يطبق عليه، سمع فحيح حركة دؤوبة، أصوات مبهمة ومخيفة تطرق رأسه، ودقات طبول تتعالى في أذنيه أكثر فأكثر، شهق شهقة عالية فاتحًا فمه وهو يتنفس بصعوبة، أخذت دقات الطبول في الخفوت، ومعها تلاشت دقات قلبه.

مضى وقتٌ قصير، وبدأ طنين أجنحة الذباب الأزرق يعلو فوق جثته، تجمع الذباب حول فمه وأنفه وضع عليهما بيضه، وبعد أيام، خرجت اليرقات وبدأت تتغذى بشراهة على جلد ولحم الجثة لتصبح مسخًا مشوهًا ومع مرور الزمن، تحول إلى هيكل عظمي، كاملًا ونظيفًا!